جامعة البعث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

السنة الأولى
الفصل الثاني
العام الدراسي ٢٠١٩ ـ ٢٠٢٠

(المكتبة العربية ـ مصادر التراث) المحاضرة الخامسة

ـ تذكير:

أوّلاً- التأليف في الأدب:

١ ـ مجموعات الشعر العربي.

٢ ـ كتب تراجم الأدباء.

٣ ـ كتب الأدب.

.....

ـ سنتابع التعرُّف إلى أبرز كتب الأدب (كتب الثقافة الأدبية العامة) في التراث العربي:

ـ كتاب (الأمالي) لأبي علي القالي (ت٣٥٦ هـ) :

ـ أبو علي القالي هو مشرقيّ، عُرِف بصحّة العِلم وثقة الرواية ممّا حمل الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن بن محمد أن يستدعيه من بغداد إلى قرطبة ليُشرف على تأديب ولده وولي عهده الحكم.

ـ إنّ كتاب (الأمالي) ـ كما يشير الاسم نفسه ـ كناية عن محاضرات كان يُمليها أبو علي القالي على طلابه كل يوم خميس في المسجد الجامع بالزهراء، مُتّكلاً على ذاكرته وقدرتها على الحفظ من غير الرجوع إلى أوراق أُعِدّت من قبل. إنّها تُشبه المحاضرات في أيّامنا مع بعض الفارق في نهجها الارتجالي العفوي، وتشعُّب محتواها.

ـ وقد عالج القالي في كتابه مسائل العلوم الطبيعية والمعارف المختلفة؛ من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وأدب. وكان يُسند كلّ خبر أو شعر يرويه على عكس مؤلّفيّ الكتب الأدبية قبله، الذين لم يكونوا يعنون بذكر أسانيدهم.

ـ جمع القالي مادّته في ثلاثة أجزاء؛ سمّى الأوّل والثاني كتاب (الأمالي)، وعندما انتهى من كتابه هذا تجمّعت لديه مادّة علميّة أخرى، فأملاها على الطريقة نفسها، وجمعها في كتاب سمّاه (ذيل الأمالي)، وهو الجزء الثالث.

ـ لم يلبث أن أتبعَه بكتاب آخر بعد أن تجمّعت لديه مادّة علميّة أخرى من الأخبار والقصائد والدروس اللغوية سمّاه (النوادر)، وهو الجزء الرابع.

ـ أمّا طريقة القالي في كتابه فهي الطريقة المُتّبَعَة في تأليف هذا النوع من الكتب، من حيث الاستطراد المستمر، وعدم الثبات على موضوع واحد.

ـ وربما كان كتاب (الأمالي) من حيث مبناه أقرب إلى كتاب (البيان والتبيين) منه إلى (عيون الأخبار)، أو (العقد الفريد). فهو عبارة عن أمالٍ متتالية في اللغة والأدب، لم يحاول أن يُصنّفها في أبواب كما فعل (ابن عبد ربه) أو (ابن قتيبة).

ـ وقد ظهرت في هذا الباب مصنّفات كثيرة معروفة، من مثل: أمالي السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، وأمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ)، وكتاب (زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري القيرواني (ت٤١٣ هـ).

.....

ـ كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري القيرواني (ت٤١٣ هـ) :

ـ أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤١٣ هـ)، أديب من أدباء المغرب، مؤلِّف وناثر بليغ.

ـ (زهر الآداب وثمر الألباب) كتاب أدبي محض، لم يتناول فيه المؤلِّف شيئاً من النحو والصرف واللغة، فقد قصَر كتابه على فنون القول من شعر ونثر، وما يتّصل بذلك من ضروب البلاغة، وجمال الصياغة، وإصابة التشبيه، وحُسن الإنشاء، وجودة الخطابة.

ـ الكتاب قائم على الجَمْع والرواية، لم يُعْنَ صاحبها بتمحيص الأخبار والأشعار ومناقشتها والتعليق عليها.

ـ لم يُرتِّب الأخبار التي جمَعَها، فالكتاب مجموعة نصوص جمعَها الحصري في أزمان متباعدة، ثم ألَّفَ بينها من دون ترتيب معيّن أو تبويب (منهج الاستطراد).

ـ وقد أبَانَ المُصنِّف عن منهجه في مقدّمة الكتاب، فقال:

(هذا كتاب اخترتُ فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفِقَر ممّا حَسُن لفظه ومعناه ... وليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حُسن الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله).

ـ وعُنيَ أبو إسحق الحصري بموضوع (الوصف) عناية خاصة، فأكثرَ من إيراد النصوص في وصف الليل والبلاغة والماء والرعد والبرق وغيرها. وغلب السجع على أسلوب الكتاب، وهو أسلوب ذلك العصر.

ـ ومع تباعُد الزمن وكثرة التأليف تضاعفت مهمّة العلماء المتأخرين في استيعاب كلّ ما وصل إليهم من مادّة أدبيّة، فلمّا عكف هؤلاء على التأليف، وكانت المادّة قد تزاحمت في عقولهم، احتاجوا إلى مجلّدات كثيرة لإفراغ ما استوعبوه. ومن هنا نشأت المؤلّفات الموسوعيّة، من مثل:

ـ (نهاية الأرب) للنويري (ت ٧٣٣ هـ).

ـ (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت٨٢١ هـ).

ـ (نفح الطيب) للمقّري (ت ١٠٤١ هـ).

ـ وقد استفاد أصحاب تلك الكتب من محاولات السابقين في التصنيف والتبويب، لذلك جعلوها أكثر دقّة.

.....

ـ كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت٧٣٣ هـ) :

ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ)، وُلِد في صعيد مصر (قرية نوير).

ـ يُعدّ هذا الكتاب خير ما يُمثِّل التطوّر في التأليف الأدبي.

ـ بدأ النويري كتابه بمقدّمة، وضّح فيها مجموعة من الأمور، لعلّ من أبرزها:

١ ـ شغل النويري مناصب إدارية في عهد الملك الناصر قلاوون، الذي خصّه بالثناء والدعاء في نهاية مقدّمة الكتاب، ثم ترك مهنته وتفرّغ للدراسة الأدبيّة والتأليف.

٢ ـ استمدّ النويري مادّة كتابه من أمهات الكتب الأدبية، فقد ضعف شأن الرواية في ذلك العصر.

٣ ـ أراد النويري تأليف موسوعته لا ليفيد منها غيره من الأدباء فحسب، بل ليفيد منها هو نفسه كذلك، إذ إنّه كان يتوقّع أن تكون أشبه بدائرة المعارف، التي يرجع إليها متى شاء للتحقّق من أمر من الأمور التي استقصى البحث فيها.

ـ يشير محتوى الكتاب إلى تطوّر في التصنيف والتبويب، فقد قسم كتابه إلى خمسة فنون، وجعل في كلّ فنّ خمسة أقسام، كما أنّ كلّ قسم بدوره يتفرّع إلى موضوعات صغيرة، وهذه الفنون:

١ ـ في السماء والأرض.

٢ ـ في الإنسان.

٣ ـ في الحيوان.

٤ ـ في النبات.

٥ ـ في التاريخ.

ـ وقد يبدو أنّ المادّة التي يتألّف منها الكتاب على هذا النحو هي أقرب إلى العلوم منها إلى الأدب. فكيف يمكن أن يوصف كتاب النويري بأنّه موسوعة أدبيّة؟.

يرجع السبب في هذا إلى أنّ النويري بحَثَ في موضوعات كتابه المتنوّعة من زاوية أدبيّة؛ فعندما يبحث في أيّ موضوع من الموضوعات نجده يذكر النصوص القرآنية، والأحاديث النبويّة الشريفة التي تتّصل بهذا الموضوع. ويذكر ما قيل من أشعار وأمثال وتشبيهات واستعارات في هذا الموضوع، وهو في ذلك ينتقي أجمل ما قيل في التراث العربي من شعر. كما يذكر الأخبار والمعارف الشعبيّة المتّصلة بهذا الموضوع من دون إسناد أو مرجع؛ فالمعارف الشعبية التي لا يستند فيها إلى مرجع ربما كانت روايات مُتناقلة، من مثل قوله: "حُكيَ في سبب حدوثه..".

ـ ولا غرابة بعد ذلك في أن تشتمل موسوعة النويري على معارف متنوّعة؛ فالموضوعات التي يتحدّث عنها واسعة، ولها صلة بالأساطير والأدب والعلوم الجغرافية والفلكية والتاريخية. فالكتاب يُمثِّل الحصيلة الثقافية في عصر النويري. وهنا تتمثّل أهميّة الكتاب؛ فهو يُطلعنا على الثقافة العامّة والخاصّة في عصره.

.....

ـ كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت٨٢١ هـ) :

ـ تُعدّ هذه الموسوعة أحد المصادر العربيّة الواسعة التي تتناول مواضيع متعدّدة؛ من مثل: الإدارة، السياسة، الاقتصاد، العادات، التقاليد، الملابس، وغير ذلك من الموضوعات في الشرق العربي.

ـ يتناول القلقشندي صفات كاتب الإنشاء ومؤهلاته، وأدوات الكتابة وتاريخ الديوان؛ فهو يتحدّث عن الإنشاء في البلاد العربية وفنون الكتابة وأساليبها. ويصف في كتابه مظاهر المجتمع العربي وتقاليده وأعرافه وظواهره الاجتماعية. كما أطنب القلقشندي في الجوانب السياسية والإدارية في مصر وبلاد الشام والبلدان المجاورة لها في عصره ـ وهو العصر المملوكي ـ وأثبتَ وثائق مهمّة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والجغرافية في عصره. فجاء الكتاب موسوعة في فن الكتابة للدولة، وفن الترسّل، وما يتعلّق بهما.

.....

ـ كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) للمقَّري (ت١٠٤١هـ) :

ـ يشير عنوان الكتاب إلى محتواه؛ فهو كتاب في تاريخ الأندلس وأدبائها الذين يخصّ منهم بالذِكر والدراسة (لسان الدين بن الخطيب).

ـ قدَّم المقَّري لكتابه بمقدّمة مسهبة؛ أمدّتنا بمعلومات كافية عن تاريخ حياته، وعن الظروف التي ألّف فيها كتابه.

ـ يُقسم الكتاب إلى قسمين:

١ ـ يختصّ القسم الأوّل بالأندلس بوجهٍ عام؛ وهو ينقسم بدوره إلى ثمانية أبواب، تحدّث فيها عن طبيعة الأندلس وجغرافيّتها، والتعريف بمَن رحلوا من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، والتعريف بمَن وفَدَ إلى الأندلس من علماء المشرق، وغير ذلك من القضايا.

٢ ـ أمّا القسم الثاني فهو في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، ويُقسم كذلك إلى ثمانية أبواب؛ تحدّث فيها عن نسَبه ونشأته، وترقّيه إلى أن أصبح وزيراً، وثناء أهل عصره عليه، وإيراد جمل من نثره ونظمه ومصنّفاته، وذِكر بعض تلاميذه، والتعريف بمَن ورث عنه العِلم.

ـ يربط المقَّري ـ في كتابه ـ ربْطاً وثيقاً بين البيئة والنتاج الأدبي والفكري، وهو يتسلسل ببحثه تسلسُلاً علميّاً منطقيّاً؛ فقد بدأ بالبحث في البيئة الطبيعيّة لبلاد الأندلس، ثمّ أتْبَعَ هذا بالبحث في البيئة السياسية والفكرية الجديدة التي طرأت على الأندلس بعدَ فتح العرب لها، ثم ينتقل إلى الحديث عن النماذج البشرية التي تُظهِر هذا النشاط الفكري والسياسي، ويُقدِّم أمثلة لتوقّدهم الذهني. ولم يكن (لسان الدين بن الخطيب) سوى ثمرة من ثمار هذه البيئة، ولهذا فقد أفردَ المؤلِّف (القسم الثاني) من كتابه لدراسة أدبه.